مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد (09) العدد (05) السنة (2022)
الصفحة 462-446

أنماط الوصف بين الفكر اللساني الحديث والدرس اللغوي القديم

Patterns of description between modern linguistic thought and the ancient linguistic lesson

بوبكر نصبة

[1] **جامعة الشيد حمه لخضر الوادي (الجزائر)،**

Nesbaboubaker@gmail.com

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2022/07/13
تاريخ القبول:2022/11/15

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على المنهج الوصفي الذي يعد بوابة النظريات اللسانية الغربية بدءا من أفكار اللغوي (فرديناند دي سوسير) إذْ أكدَ أن موضوع اللسانيات يتجلى في وصف اللغة باعتبارها بنية مترابطة المستويات: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية المعجمية، مرورا بمبادئ الوظيفيين الذين اهتموا بوصف البناء اللغوي وربطه بالجانب التفسيري من خلال الدور الذي يقوم به العنصر اللساني سواء كان فونيما أو مورفيما أو تركيبيا، وهذا يتوافق مع كثير من مباحث الدراسات اللغوية التراثية العربية.

الكلمات المفتاحية: المنهج الوصفي؛ اللغة؛ التفسير؛ الصوت؛ النحو؛ الدلالة.

ABSTRACT

his study aims to shed light on the descriptive approach, which is the gateway to Western linguistic theories, starting with the ideas of the linguist (Ferdinand de Saussure), as he emphasized that the subject of linguistics is reflected in the description of language as an interconnected structure of levels: phonetic, morphological, syntactic and lexical semantics, passing through the principles of functionalists who were concerned with describing Linguistic structure and linking it to the explanatory aspect through the role played by the linguistic component, whether it is phonema, morphema or synthetic, and this is consistent with many of the investigations of Arabic heritage linguistic studies.

Keywords: Descriptive method; the language; interpretation; the sound; grammar; indication.

1. مقدمة:

إتسمت الدراسات اللغوية في بادئ الأمر بالمعيارية كونها تركز على الجانب النحوي مقارنة بالجوانب الصوتية والدلالية المعجمية وهذا ما نلمسه في بحوث الهنود والإغريق والرومان والعرب في القرون الوسطى إلى غاية أواخر القرن الثامن عشر، وكانت اللغة تدرس لأغراض دينية وتعليمية. ومع بداية القرن التاسع عشر صُبِغت الدراسات اللغوية بالصبغة التاريخية والمقارنة من خلال دراسة اللغة الواحدة ومعرفة تطوراتها عبر الزمن، ومن ثم البحث عن الأصل الذي انبثقت منه. أي أن اللغة تدرس كوسيلة لا غاية، إلى أن بزغ القرن العشرون وصارت اللغة تدرس في ذاتها ولذاتها انطلاقا من المنهج الوصفي.

وعليه فالإشكال المطروح كالآتي:

ما أنماط الوصف التي هيمنت على النظريات اللسانية الغربية؟ وأين تكمن ملامحها في التراث اللغوي العربي؟

ويندرج تحت هذا الإشكال مجموعة التساؤلات أهمها:

- فيم تتجلى خصائص المنهج الوصفي؟
- ما الجديد الذي ميز المنهج الوصفي مقارنة بالمنهجين التاريخي والمقارن؟
- هل اعتمد العرب القدامى على الوصف في دراساتهم اللغوية؟

وتهدف هذه الدراسة إلى تحديد ملامح المنهج الوصفي في الدراسات اللغوية القديمة انطلاقا من دراساتهم الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، إضافة إلى تحديد أهم الفروق الجوهرية بين الوصف اللساني ونظيره العربي القديم.

2. المنهج الوصفي وخصائصه

1.2المفهوم والنشأة:

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

يرى فردينان دي سوسير (Ferdinand Du Saussure) (1857–1913) أن المنهج الأنسب لدراسة اللغة من جميع مستوياتها هو المنهج الوصفي (Descriptive approche) الذي يتسم بالآنية بمعنى "دراسة اللغة في نقطة زمنية ثابتة" (مومن، 2007، صفحة 125)، نظرا لدقته وشموليته وتوافقه مع موضوع اللسانيات: دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها (فردينان، 1986، صفحة 280) إضافة إلى تناسبه مع شكل اللغة. وفي هذا المقام يقول دي سوسير: "اللغة منظومة لا قيمة لمكوناتها إلا بالعلاقات القائمة فيما بينها، وبالتالي لا يمكن للألسني إعتبار مفردات لغة ما كياناتٍ مستقلة بل إن لزاما عليه وصف العلاقات بين هذه المفردات ". (فردينان، 1986، صفحة 1)

وفي هذا رد صريح على الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة التي كانت تعتبر اللغة أجزاء مستقلة لغرض معرفة تطورها وأصلها، وتقديم للمنهج البديل الذي يتعامل مع جوهر اللغة (المنهج الوصفي)، فهو الدراسة السنكرونية (المتزامنة) (Synchronically) التي لا تعنى أبدا بالمسألة التعاقبية التي تتناول قضايا اللغة ضمن ترتيب زمني بدءا بالأقدم وصولا إلى الأحدث وهكذا ... وإنما هي دراسة تسلط الضوء على اللغة في زمن محدد. (خليل، 2010، صفحة 111)

ولقد تنوعت مناهج البحث بعد ظهور كتاب سوسير "علم اللغة العام" ومن بين الذين تأثروا بهذا الأمريكي " فرانز بواز " (F.Boaz) (1858–1942) الذي يعد من أوائل النحاة الوصفيين. (خليل، 2010، صفحة 111) كما تأثر الأمريكي " ليونارد بلومفيلد " (L.Bloomfield) (1887–1949) بدراسات بواز، وكذلك بالمدرسة السلوكية في علم النفس، لهذا فإن الوصف المعول عليه عنده هو الوصف القائم على ملاحظة الملفوظ الكلامي غير المدروس، وغير المعد سابقا من قبل المتكلمين.

ومن أبرز ما تميز به النحو عند بلومفيلد النظر إلى اللغة نظرة متحررة من الآراء الموروثة المسبقة، والأحكام المعتادة، من مثل: الكلام ثلاثة أقسام: إسم وفعل وحرف. (خليل، 2010، صفحة 112)

وبناء على ذلك، فالمنهج الوصفي كان مهده في أوربا ثم انتقل إلى أمريكا. (لسانيات بنيوية أوروبية ولسانيات بنيوية أمريكية).

2.2 الخصائص:

أ. الاعتماد على النزعة الحسية النقلية التي تعتمد على المشاهدة والاستقراء ومعاينة الأحداث وتصنيفها لاستنباط القوانين، وهذا الاتجاه تمثله المدارس اللسانية البنيوية والوظيفية. (طالب الإبراهيمي، 2006، صفحة 10)

ب. الاعتماد على شكل اللغة في المقام الأول: فاللغة عند دي سوسير شكل لا مادة، أي الاهتمام بالبنية السطحية (الظاهرية، الصورية) اللغة من حيث فونيماتها ومقاطعها الصوتية ومورفيماتها وتراكيبها المتنوعة (اسمية، فعلية)....

التعمق في هذا الجوانب يوصل الباحث إلى المعنى (المضمون). (حجازي، صفحة 34)

ج–الاعتماد على دراسة اللغات الحية، وعدم الميل لدراسة اللغات القديمة لأنها تضطر الباحث للرجوع إلى مبدأ الدراسة التعاقدية التاريخية وهذا يتنافى مع المنهج الوصفي. (خليل، 2010، صفحة 113)

د–مراعاة التتبع الدقيق لربط الدرس اللغوي بالوظائف، فإن عنايته بالنحو والقواعد مثلا تقتصر على الجانب الوظيفي ولا يعنيه في كثير من الأحيان الخوض في العلل التعليمية والعقلية في النحو:

مثل: ما الذي رفع الفاعل، لماذا رفع الخبر، ولماذا بني الحرف ولم يعرب؟ ولماذا جاء الفعل المضارع معربا والفعل الماضي مبنيا.. (خليل، 2010، صفحة 114)

وإنما هذه الأمور تختص بها الدراسات اللغوية ذات النزعة العقلية الافتراضية الاستنتاجية التي تنطلق من مسلمة ثم تولد عنها مجموعة من القواعد. (طالب الإبراهيمي، 2006، صفحة 10)

هـ-لا يهتم الباحث الوصفي على مستوى الدلالة والمعاني بالتعبير الذي يطرأ على دلالات الألفاظ. (خليل، 2010، صفحة 114)

و- يقوم المنهج الوصفي على طراق تطبيقية مثل: الاستبدال كاستبدال صوت بآخر، أو كلمة بأخرى، أو ضمير بغيره وهكذا وعليه فالوصف يتسم بالشمولية انطلاقا من عملية الاستبدال عبر المستويات اللغوية، صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية.

وكذلك التحويل (الانزياح) كتحويل القائم الاسمي إلى فعلي مثلا وغيرها من التطبيقات الوصفية. (بوحوش، 2007، صفحة 43)

3. أنماط الوصف وملامحها في التراث اللغوي العربي:

بتمعن دقيق يمكن للباحث الألسني تقسيم الوصف إلى: وصف بنيوي ووصف تفسيري.

1.3.الوصف البنيوي:

يستخدم الباحث الألسني هذا النمط من الوصف في البحوث اللغوية التي تعنى بدراسة البنية السطحية كشكل بالدرجة الأولى مراعيا معايير التصنيف والإحصاء، فهو بمثابة وصف بحث خال من التفسير. وأول ما نادى به الألسني سوسير الذي يرى أن اللغة نظام من العلامات أو لنقل: نظام من الدوال، وتتابع الدوال يشكل تركيبا مميزا. (مومن، 2007، صفحة 127)

ومن أهم النظريات اللسانية التي عنيت بهذا النمط من الوصف بعد سوسير:

أ- نظرية الرياضيات اللغوية

يطلق عليها أيضا بالنظرية الغلوسيماتيكية كونها اتجاها لسانيا بنيويا يدرس اللغة باعتبارها أنساق شكلية لا مادية وفق نزعة رياضية منطقية، وهي أكثر النظريات تأثرا بأفكار سوسير وتعرف أيضا بالنظرية السوسيرية الحديثة أو النظرية النسقية أو النظرية العلائقية. (حمو الحاج ، 2005، صفحة 58)

وقد ركز رائدها "لويس يلمسليف" (L.Hlmsliev) (1899-1965) على مبادئ أهمها:

- مبدأ المحايثة: ويعني بها دراسة اللغة بعيدا عن المؤثرات الخارجية، وهذه الفكرة مأخوذة من فكر دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها عند سوسير.
- اللغة شكل وليست مادة: أي أنها قائمة على أصول صورية (شكلية) لا تصورية، فشكل اللغة يبنى على رموز جبرية، فإذا قلنا الصفة تتبع الموصوف فإنها تصاغ رياضيا:

صفة تستلزم ⟵ وجود موصوف. (حمو الحاج ، 2005، الصفحات 58-59)

- استبدال يلمسليف كلمة الدال بالتعبير، والمدلول بالمضمون. ثم قسم كل طرف إلى شكل وجوهر كالآتي:
  - جوهر المحتوى: يعني الأفكار قبل تجسدها في نظام اللغة.
  - شكل المحتوى: يعني البنية المعجمية للكمة من خلال تخصيصها وفق الملامح التمييزية.
  - شكل التعبير: ويتمثل في الفونولوجية (ترابط الفونيمات).
  - جوهر التعبير: ويتمثل في الفونتيك (المادة الخام). (خليل، 2010، صفحة 74)

كما لا يخفى على الباحث أن العرب القدامى طبقوا المنهج الرياضي في دراساتهم الوصفية مثل: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) الذي اعتمد على نظام التقاليب في معجمه العين. فالأصل الثلاثي يولد ست تقليبات وهكذا. (طالب الإبراهيمي، 2006، صفحة 135)

وكذلك الاشتقاق الأكبر عد ابن جني (ت 392هـ) الذي يشمل الجدر الثلاثي بتقاليبه الستة، فيجمع كل ما تفرع عنها من كلمات في معن واحد. (تمام، 1979، الصفحات 168-169)

ب- النظرية التوزيعية:

وهي أكثر النظريات البنيوية التي اعتمدت على المنهج الوصفي لأنها تنظر إلى اللغة نظرة آلية مستبعدة المعنى خصوصا عند بلومفيلد، وعليه تعد النظرية التوزيعية الفريدة والوحيدة من نوعها التي سميت بالنظرية الوصفية. (حلمي، 2000، الصفحات 43-44)

ومن أهم مبادئها:

- التوزيع: وهو الموقع الذي يحتله العنصر اللساني ضمن محيطة اللغوي، أي أنه مرتبط بالفئة النحوية: الفاعل، المفعول به... (طالب الإبراهيمي، 2006، صفحة 89)

فعمل النحاة العرب كان توزيعيا لأنهم ركزوا على أقسام الكلام: اسم، فعل، حرف والموقع الاعرابي للكلمات داخل الجمل.

- إقصاء المعنى المعجمي: فاللغة عند التوزيعيين أشكال مفرغة من الملامح التمييزية المعجمية، إنما يتم رصد الملامح النحوية الشكل: اسم، مفرد، معرف، مرفوع...
- التحليل إلى مورفيمات باعتبارها وحدات صرفية صغرى دالة، (خليل، 2010، صفحة 102)مثل: السوابق واللواحق، والدواخل....، ويتناسب هذا المبدأ مع جود علماء الصرف سابقا في دراسة أبنية الأفعال وأبنية الأسماء، والمصادر.

وقد اتسمت دراسة العرب للأصوات اللغوية بالطابع الوصفي البنيوي وذلك لما تقتضيه طبيعة المادة، فأول من عني بالأصوات والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) اكتفى بوصف بعض أعضاء النطق مثل: الحلق والحنك والأضراس واللسان، ووصف لنا مخارج تلك الأصوات سواء أكانت من الحلق، أم من شجر الفم، ورتب الأصوات ترتيبا

مخرجيا مبتدئا بالحلقي ومنتهيا بالشفوي والجوفي، وتحدث عن النسيج الصوتي للكلمة العربية، وموقع الأصوات الذلقية من الرباعي والخماسي. (خليل، 2010، صفحة 139)

2.3.الوصف التفسيري:

عنيت الدراسات اللغوية الوظيفية بهذا النمط من الوصف، تنطلق في تحليلها من البنية اللغوية المترابطة المكونات (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) وتحاول البحث كذلك في الدور الذي يقوم به العنصر داخل البنية.

فالوصف التفسيري هو بمثابة المحرك الذي يقوم بوظيفته انطلاقا من وظائف مكوناته المترابطة فيما بينها. (مومن، 2007، صفحة 136)

ومن أهم النظريات اللسانية التي عنيت بهذا النمط الوصفي:

أ- النظرية الفونولوجية:

وتهتم بدارسة الجانب الوظيفي للغة انطلاقا من المستوى الصوتي أي أنها مختصة في مجال علم الأصوات الوظيفي أو الفونولوجيا ومن أهم أعلامها نيكولاي تروبوتسكوي وورومان جاكبسون.

وقدك نصت على بعض المبادئ أهمها:

- الوظيفة التمييزية للفونيم: أي السمة المفرقة بين الفونيمات والتي تظهر من خلال استبدال فونيم بآخر فيتغير المعنى مثل: سال- نال- جال-صال... وتعرف هذه الظاهرة الوصفية بالتقابل الفونولوجي. (حلمي، 2000، صفحة 21)
- للفونيم وظيفتان:
  - إيجابية: تظهر من خلال ارتباط الأصوات فيما بيها لتؤدي وظيفة.
  - سلبية (ثانوية): تظهر أثناء استبدال فونيم بآخر فيتغير المعنى. (حلمي، 2000، صفحة 21)
- التفريق بين الفونتيم والفونولوجيا:

فالفونتيك وعلم الأصوات العام الذي يدرس الأصوات مفردة من حيث المخرج والصفة وكيفية وصوله إلى السامع.

مثل ما ركز عليه العرب القدامى في تصنيفهم لمخارج الأصوات وصفاتها، كالخليل وابن جني...

أما الفونولوجيا فهي علم الأصوات الوظيفي الذي يهتم بدراسة الأصوات المرتبطة فيما بينها لإظهار الوظيفية التمييزية. (حمو الحاج ، 2005، صفحة 57)

ورغم اتصاف مبحث الفونولوجيا بالجدة اللغوية إلا أن ملامحه مبثوثة في الدرس اللغوي العربي القديم، مثل تعريف ابن جني للغة: "أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". (ابن جني، صفحة 33)

فهذا التعريف ارتكز على ثلاثة أسس:

- الأساس البنيوي: أي أن الأصوات هي ركيزة البنية اللغوية وبها تنشأ المستويات الأخرى: الصرفية والنحوية والمعجمية.

- الأساس الوظيفي (الفونولوجي):

حيث ربط الأصوات بوظيفة التعبير والتواصل، (أصوات مترابطة تؤدي تواصلا سليما).

- الأساس الاجتماعي:

فلا فائدة للغة إذا عزلناها عن المجتمع، وهي وظيفة تداولية بامتياز.

وهذا ما ركز عليه رومان جاكبسون (R.jokobson) (1896-1982) في مخطط التواصل القائم على ست وظائف: التعبيرية والجمالية والإفهامية والمرجعية وإقامة وقطع الاتصال والتفسيرية (الشارحة). (مومن، 2007، الصفحات 148-149)

ب- النظرية الوظيفية التركيبية:

هذه النظرية بمثابة توسيع للنظرية الفونولوجية، حيث ربطت الجانب الوظيفي (التفسيري) بالتركيب ككل.

فكل عنصر في التقريب يؤدي وظيفة انطلاقا من الاعتماد على القواعد النحوية وربطها بالجانب الدلالي، ومن أهم أعلامها: أندري مارتيني (A.Matinet) (1908-1999) الذي نص على مبادئ أهمها:

- التحليل الفونولوجي هو أساس التحليل الوظيفي للتركيب. فتغير الفونيم يؤدي إلى تغير دلالة التركيب مثل: "سال الماء العذب" و "زال الماء العذب". (مومن، 2007، صفحة 153)
- التقطيع المزدوج:

ويكون تبعا لمستويين:

- مستوى المونيمات: وهي أصغر وحدة دالة.
- مستوى الفونيات: وهي أصغر وحدة غير دالة

- الاقتصاد اللغوي:

فاللغة مبنية على طابع الاقتصاد أو الايجار في التبليغ ومن أهم مظاهره: حذف الجوانب الصوتية غير المنطوقة في الكتابة الفونولوجية، الوقف على السكون، الحذف الواقع في الجملة. (مومن، 2007، الصفحات 154-155)

ولقد أفرد النحاة القدامى باب الحذف دراسة موسعة في كتبهم النحوية، فهذا عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ).

يقول في محاسن الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن". (الجرجاني، 1997، صفحة 121)

وقد أشار ابن جني قبل عبد القاهر الجرجاني إلى أن العرب دفت الجملة والمفرد والحرف والحركة. (ابن جني، صفحة 360)

- تحليل التركيب وظيفيا يقوم على أسس أهمها:

- الصلة بين الوحدات، وهو ما عبر عنه الجرجاني قديما بالتعلق (تعلق اسم باسم، فعل باسم، حرف بالفعل، حرف بالاسم). (الجرجاني، 1997، صفحة 13)

- المحتوى الدلالي للوحدات: دلالة نحوية: كالفاعلية والمفعولية والإضافية، ودلالة معجمية متمثلة في الملامح التمييزية العجمية.
- موقع الوحدات: فالموقع له دور تمييزي في التركيب.

فقد يقدم عنصر على آخر كتقديم الخبر على المبتدأ أو المفعول به عن الفاعل ويعرف هذا الباب بباب التقديم والتأخير عند النحاة القدامى.

- التحليل التركيبي يقوم على تحديد عناصر أساسية: كالتركيب الاسنادي (مسند ومسند إليه) وأخرى ثانوية كالتوابع المختلفة: إضافة، عطف، حال، تمييز..... (طالب الإبراهيمي، 2006، الصفحات 101-103)

وقد عنى النحاة بهذه المفاهيم النحوية وخصوصا باب الإسناد في الجملة.

ج- النظرية الوظيفية السياقية:

وهي اتجاه لساني يجمع بين البنيوية التي تهتم بدراسة مستويات اللغة: الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي مترابطة فيما بينها والوظيفية التي تعنى بالدور الذي يقوم به العنصر اللساني داخل التركيب انطلاقا من السياق الذي يرد فيه. (مومن، 2007، صفحة 170)

وقد ركزت هذه الدراسة على المستويين الفونولوجي والدلالي بالدرجة الأولى، وارتبطت الباحث الإنجليزي جون فيرث (J.Firth) (1890-1960)، حيث أكد على:

- الاهتمام بالصوتيات الوظيفية الفوقطعية (ظواهر فوق التقطيع) مثل: النبر والتنغيم لما لهما علاقة بالتفسير فعبارة "مُحَمَّد جاء" قد كون للإخبار أو الاستفهام أو التعجب أو التهكم.....

تبعا للمقام. وقد نوه البلاغيون القدامى لفكرة المقام بمقولتهم "لكل مقام مقال".

- التحليل اللغوي مرتبط بعلاقات داخلية (تركيب واستبدال) وعلاقات موقفية، فالعلاقات الأولى تخدم جانب الوصف، والأخرى تخدم التفسير. (مومن، 2007، صفحة 175)
- الاهتمام بالدلالة انطلاقا من تنوعات السياق:

- السياق اللغوي: فدلالة المفردة تعرف من خلال المفردات المجاورة لها، وهو سياق بنيوي، فالفعل ضرب قد يكون حسيا أو معنويا مثلا.
- السياق الانفعالي: ويكون مرتبطا بدرجة الانفعال النفسي المصاحب للكلام، فكلمة "والدة" تحمل دلالة نفسية لها علاقة بالحنان إضافة إلى معناها المعجمي المتمثل في التربية، الأم...

واستخدام أبو هلال العسكري (ت395هـ) مفهوم الانفعال لكثير من الكلمات المتقاربة في المعنى للتفريق بينها في كتابة "الفروق في اللغة".

- **السياق الموقفي**: فدلالة المفردة تعرف من المقام الذي قيل فيه الكلام، فكلمة عملية في المستشفى تدل على عملية جراحية وفي الرياضيات عملية حسابية.

●**السياق الثقافي والاجتماعي**: فدلالة الكلمة تحددها العادات والأعراف الاجتماعية المرتبطة بثقافة كل مجتمع، فكلمة العائلة تدل على الزوجة في بعض المجتمعات مثلا. (خليل، 2010، صفحة 97)

- **المكون لاجتماعي**:

تأثر فيرث بالانثروبولوجيا مما جعله يركز على دراسة المكون الاجتماعي في تناول مختلف اللغات البشرية، فاللغة ينبغي أن تدرس بوصفها جزءا من المسار الاجتماعي ليس كمجموعة من العلاقات الاعتباطية، وهذا ما ركز عليه ابن جني في تعريفه للغة. (مومن، 2007، صفحة 174)

4. النظرية التوليدية التحويلية والتفسير

ورغم ارتباط النظريات الوظيفية بجانب التفسير إلا أن هذا الأخير كان محصورا في حدود البنية السطحية ولم يخدم الدلالة بطريقة موضوعية، إلى أن جاءت النظرية التوليدية التحويلية لصاحبها (نعوم تشومسكي) (N.Tchomsky) ورأى أن التفسير الحقيقي الذي يخدم المعنى يرتكز على الذهن (العقل).

وبالتالي تسعى هذه الدراسة إلى عقلنة اللغة بدلا من شكلنتها أي التركيز على الناحية الاستنباطية للغة عكس السلوكية التي تنص على آلية اللغة.

وبنى تشومسكي تحليله اللغوي على بنيتين:

1- بنية عميقة (تحتية) تتمثل في القواعد النحوية المجردة إضافة إلى الملامح التمييزية المعجمية.

2- بنية سطحية (ظاهرية) وهي ذات طابع فونولوجي (أصوات مترابطة). (حجازي، صفحة 45)

وهذا التقسيم الثنائي للبنية وجد سابقا عند النحويين القدامى مثل سيبويه (ت 180هـ) في جمعه بين التفسير اللغوي وملاحظة السياق، وذلك عند وقوفه إلى تراكيب مخصوصة فيردها إلى أنماط لغوية مقررة، ويقدر ما يكون عرض لها من الوجهة اللغوية الخالصة من حذف أو غيره، ولا يقف عن ذلك بل يتسع في تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب والمتكلم وموضوع الكلام، وهذا ما هداه إلى استكناه البنية العميقة للتركيب النحوي. (الموسى، 1980، صفحة 88)

ومع ذلك اختلف في تصنيف النظرية اللغوية لتشومسكي هل هي تفسيرية بحتة أم هي دمج للوصف مع التفسير.

5. مستويات الوصف اللغوي:

يمكن للباحث الألسني أن يحدد مستويات الوصف اللغوي انطلاقا من البنية اللغوية في حد ذاتها، والتي تتكون من عناصر صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ومعجمية، وكل مكون يمكنه التجزؤ إلى عناصر أخرى.

وعليه فالبنية اللغوية تتسم بثلاث خصائص:

- **الشمولية (الكلية):**

وتظهر من خلال التماسك أو الترابط بين الوحدات داخل النسق اللغوي، وهو ما عرف عند القدامى بمصطلحات مثل: النظم، السبك....

- **التحول:**

يقصد به إحداث تغييرات داخل النسيج اللغوي انطلاقا من القاعدة كالتقديم والتأخير في المستوى النحوي، والذي عني به العرب القدامى في جهودهم النحوية والبلاغية خصوصا عبد القاهر الجرجاني.

- **التحكم الذاتي:**

أي استغناء البنية بنفسها عن غيرها. وبالتالي تتحقق سمة الانغلاق (إلغاء العوامل الخارجية)، فالسياق اللغوي كفيل بتحديد دلالات المكونات داخل الجملة أو النص والخطاب.

وانطلاقا من هذه المؤشرات البنيوية يمكن ضبط مستويات الوصف اللساني، وذلك لأن الوصف والبنية وجهان لعملة واحدة هي اللغة. (بوحوش، 2007، صفحة 43)

1.5.الوصف الصوتي :

يسعى الباحث في هذا المجال إلى تحديد كل ما يتعلق بالصوت أو الفونيم من حيث المخرج والصفة والوظيفة.

وقد تم تقسيم المستوى الصوتي إلى مباحث أهمها:

1.1.5.المستوى الصوتي الفونيتينكي :

يعنى بدراسة الصوت مفردا من حيث المخرج والصفة وكيفية وصوله إلى المستمع. ومثال ذلك: السين صوت صامت، أسناني، لثوي، مهموس، صفيري...

2.1.5. المستوى الصوتي الفونولوجي:

يهتم بتحديد الملامح التمييزية للصوت داخل البنية اللغوية، وهذا الجانب هو لب الدراسة الصوتية لأنه يهتم بالجانب الوظيفي للصوت (وصف تفسيري)، وهو ما ذكره ابن جني في تعريفه للغة. (مومن، 2007، صفحة 137)

ومثال ذلك: الفونيمان السين والزاي يشتركان في كل الصفات (صامت، أسناني، لثوي، صفيري...) ويختلفان في سمة واحدة، فالسين مهموسة والزاي مجهورة. وعليه فكلمة "رجس" تختلف دلالتها عن كلمة "رجز"، فدلالة الأولى فيها نوع من اللين (الإثم)، ودلالة الثانية فيها نوع من القوة (العذاب).

كما يرتبط الوصف الصوتي بطبيعة المقاطع الصوتية التي يتشكل منها الكلام والمتمثلة في:

- **المقطع القصير المفتوح:** ويتكون من صامت وحركة مثل حرف الجر "بِ" .
- **المقطع القصير المغلق:** ويتكون من صامت وحركة وصامت مثل حرف الجزم "لمْ".

- **المقطع الطويل المفتوح**: ويتكون من صامت وصائت طويل مثل حرف النداء "يا".
- **المقطع الطويل المغلق**: ويتكون من صامت وصائت طويل وصامت مثل كلمة "باب".
- **المقطع القصير مزدوج الإغلاق**: ويتكون من صامت وحركة وصامتين مثل "بنت" .
- **المقطع الطويل مزدوج الإغلاق**: ويتكون من صامت وصائت طويل وصامتين مثل "مارّ" في كلمة احمارّ. (خليل، 2010، صفحة 158)

ويعد المستوى الصوتي أنسب المستويات اللغوية المرتبطة بالوصف، كونه يرتبط بالجانب النطقي للغة وهو في الوقت نفسه الركيزة الأساسية لبناء اللغة.

2.5. الوصف الصرفي:

ويرتبط ببنية الكلمة مفردة أي خارج السياق، وعليه يمكن للباحث اللغوي أن يميز بين نمطين من أنماط الوصف الصرفي وهما:

1.2.5. الوصف الفعلي:

وفيه يتم وصف الأفعال من حيث الزمن: ماض، مضارع، أمر، وكذلك من حيث: الصحة / الاعتلال، التمام / النقصان، التجريد / الزيادة، البناء للمعلوم / البناء للمجهول، اللزوم / التعدي...

فكل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى. فإضافة الألف والسين والتاء تدل على الطلب، والتضعيف يدل على المبالغة...

2.2.5. الوصف الاسمي:

وفيه يتم دراسة الاسم من حيث الجمود والاشتقاق.

فالأسماء المشتقة مثلا تحتوي على أنواع مثل: اسم الفاعل، اسم المفعول، اسما الزمان والمكان، صيغ المبالغة...

كما يهتم الوصف الاسمي بالمصادر المختلفة: مصدر المرة، مصدر الهيئة، المصدر الميمي، المصدر الصناعي...إضافة إلى طبيعة الأسماء من حيث: التذكير / التأنيث، التعريف/ التنكير، الإفراد / الجمع...

ويرتبط الوصف الصرفي في الدرس اللساني بوحدة "المورفيم" باعتباره أصغر وحدة صرفية دالة من حيث أنواعه (حر، مقيد، ممتزج، سابق، لاحق، داخل...) ومعانيها المختلفة ووظائفها.

ويطلق عليه أيضا بالوصف المورفولوجي. (بوقرة، 2008، صفحة 11)

ومثال ذلك: جملة "**يكتب زيد الدرس**". تحتوي على خمسة مورفيمات توصف كالآتي:

- **ياء المضارعة**: وهي مورفيم سابق ومقيد بالجذر الفعلي "كتب".

- **الجذر الفعلي "كتب"**: وهو أصل الكلمة من حيث الاشتقاق.
- **الجذر الاسمي "زيد"**: وهو اسم علم.
- **"ال" التعريف**: وهو مورفيم سابق ومقيد.
- **الجذر الاسمي "درس"**

ويعتبر الاتجاه التوزيعي خير من مثل هذا التحليل المورفيمي القائم على الجانب الشكلي دون إدخال الملامح التمييزية التي عني بها أصحاب الاتجاه الوظيفي الفونولوجي والتركيبي.

3.5. الوصف النحوي:

ويرتبط بطبيعة الجمل النحوية من حيث طبيعتها (اسمية، فعلية، شرطية، ندائية، استفهامية، تعجبية...)، والعناصر المكونة لها. وهو في الوقت ذاته وصف أفقي يعنى بترتيب الوحدات داخل التركيب. (بوقرة، 2008، صفحة 12)

ويتعلق المستوى النحوي بجوانب أخرى مثل:

- **الإسناد**: فالتركيب الإسنادي هو نواة الجملة ويتكون من طرفين هما: المسند (الفعل والخبر) والمسند إليه (الفاعل والمبتدأ). وقد يحذف أحد طرفي الإسناد لغاية نحوية وبلاغية.
- **الربط والارتباط**: فالربط يتعلق بالجانب الحسي المجسد عن طريق الروابط المختلفة مثل حرف العطف التي تدل على الجمع (الواو) أو التخيير (أو)، أو البعد الزمني (ثم). إضافة إلى أدوات أخرى مثل: لكن تفيد الاستدراك.
- **الانزياح التركيبي**: ويتمثل في التغييرات التي تحدث على مستوى الجملة مثل التقديم والتأخير والحذف سواء في مجال الجملة الفعلية أو الاسمية. وله أهمية معتبرة إذا تعلق الأمر بطرفي الإسناد.
- **طبيعة الأسلوب**: فالجملة النحوية قد تكون خبرية (وصفية) أو إنشائية (ندائية، تعجبية، استفهامية...)

ولثنائية الخبر والإنشاء علاقة وطيدة بنظرية الأفعال الكلامية في مجال التداولية خصوصا إذا ميزنا بين التعبير المباشر وغير المباشر.

- **طبيعة المكونات النحوية**: فالمكون النحوي قد يرد اسما ظاهرا أو ضميرا متصلا أو ضميرا منفصلا أو ضميرا مستترا مثل الفاعل.

وارتبط الوصف النحوي في الدرس اللساني بصفة جلية بالنظرية التوليدية التحويلية التي ميزت بين نمطين من الجمل هما:

- **الجملة النواة**: وهي الجملة الأصلية المرتبطة بالبنية العميقة (قواعد نحوية مجردة).

- **الجملة المحولة**: وهي الجملة المتفرعة عن الجملة النواة مثل الجملة الاستفهامية.

ومثال ذلك الجملة المبنية للمجهول هي محولة عن الأصل (البناء للمعلوم).

وكذلك الجملة المعطوفة (جاء زيد وعلي) هي جملة محولة عن جملتين أصليتين: جاء زيد، جاء علي.

كما ارتبط الوصف النحوي أيضا بالنظرية الوظيفية التركيبية من خلال التمييز بين العناصر الأساسية (المسند والمسند إليه) والعناصر التابعة (النعت والحال والتمييز والإضافة ...)

كما لجأ اللسانيون إلى معرفة مكونات الجملة باتباع طريقة المشجر الذي يصف الوحدات النحوية عن طريق تجزئتها. فالمكون الاسمي مثلا ينقسم إلى مركب اسمي وآخر فعلي، والمركب الاسمي بدوره ينقسم إلى أداة وجذر اسمي.

والمركب الفعلي ينقسم إلى جذر فعلي ومركب اسمي وهكذا....

4.5.الوصف المعجمي:

يرتبط الوصف المعجمي بطبيعة الوحدات المعجمية داخل النص وما تشير إليه من دلالات. وفيه يقوم الباحث اللغوي بتحديد بعض المحاور لاستنباط المعاني التي تؤدي إلى معرفة موضوع الخطاب. ومن أهمها:

1.4.5 الحقول المعجمية:

وهي قائمة على تحديد الكلمات التي تشترك في مدلول واحد. ومن أمثلتها:

- حقل المجردات (حرية، عدل، اجتهاد...)
- حقل المحسوسات (مدرسة، شجرة، بحر...)
- حقل الألفاظ الطبيعية (قمر، شمس، نجوم...)
- حقل الزمان (يوم، ساعة، صباح، فجر، سنة...)
- حقل المكان (مسجد، قرية، جامعة.....)

فطبيعة النص هي التي تحدد للقارئ أهم الحقول المعجمية التي بني عليها ولها علاقة أساسية بموضوع النص. (خليل، 2010، صفحة 217)

كما اتسم منهج العرب القدامى في مجال الحقول الدلالية بالطابع الوصفي الخالص، إذ حاول الكثير منهم حصر الألفاظ التي تستخدم في موضوعات معينة، وترتيبها، وتبويبها في رسائل ومصنفات صغيرة.

والأمثلة على ذلك كثيرة ومن أهمها: كتاب "النبات" و"الشجر" و"خلق الإنسان" للأصمعي، وكتاب "الخيل" لأبي عبيدة معمر بن المثنى.

ومن أكثر الكتب شمولا كتاب "المخصص" لابن سيدة الأندلسي (ت 458هـ) ففيه يذكر الأصول الرائدة للتفريع، المبني على تتبع الصيغ الصرفية المشتقة من الجذور مع الاحتفاظ فالنسيج الصوتي للكلمة في جل ما يتصرف منها ويشتق بالدلالة على معان تدور في إطار المعنى الكلي. (خليل، 2010، الصفحات 135-136)

2.4.5 العلاقات الدلالية:

وهي علاقات تصورية تربط بين المفردات ومن أهمها:

- **التضاد:** يربط بين معنيين متناقضين مثل أعزب/ منزوج.
- **الترادف:** يربط بين معنيين متشابهين مثل أم / والدة.
- **الجزء/ الكل:** مثل عجلة /سيارة
- **الاشتمال:** مثل ثمار/ شجرة، ويطلق عليه علاقة التضمن من طرف واحد. (بوقرة، 2008، صفحة 12، 43)

3.4.5 التغيير الدلالي:

وفيه يتطرق الباحث اللغوي إلى معرفة التطور الذي يصيب المفردات من حيث مدلولها وفقا لعلاقات معينة كالعموم والخصوص وتغير مجال الاستعمال. ومثال ذلك: انتقال المعنى المحسوس إلى مجرد أو العكس وهذا ما نلمسه في البلاغة في مجال الصور البيانية (استعارة، كناية، تشبيه...)

فعبارة "كثير الرماد" كناية عن الكرم والجود يصل إليها القارئ عبر مراحل:

كثرة إحراق الحطب ⟵ كثرة ما يطبخ ⟵ كثرة الأكلة ⟵ كثرة الضيوف. (سعودي، 2009، صفحة 24)

ويظهر الوصف المعجمي في البحث اللساني جليا في النظرية التحليلية التي تفسر المفردات عن طريق ملامحها التمييزية، وكذلك في النظرية التوليدية التحويلية في نموذجها الثاني "مظاهر النظرية التركيبية"، والنظرية النموذجية الموسعة. (مومن، 2007، الصفحات 248-249)

ويمكن إيجاز مستويات الوصف اللغوي ومدى ترابطها في المخطط الآتي: (خليل، 2010، صفحة 144)

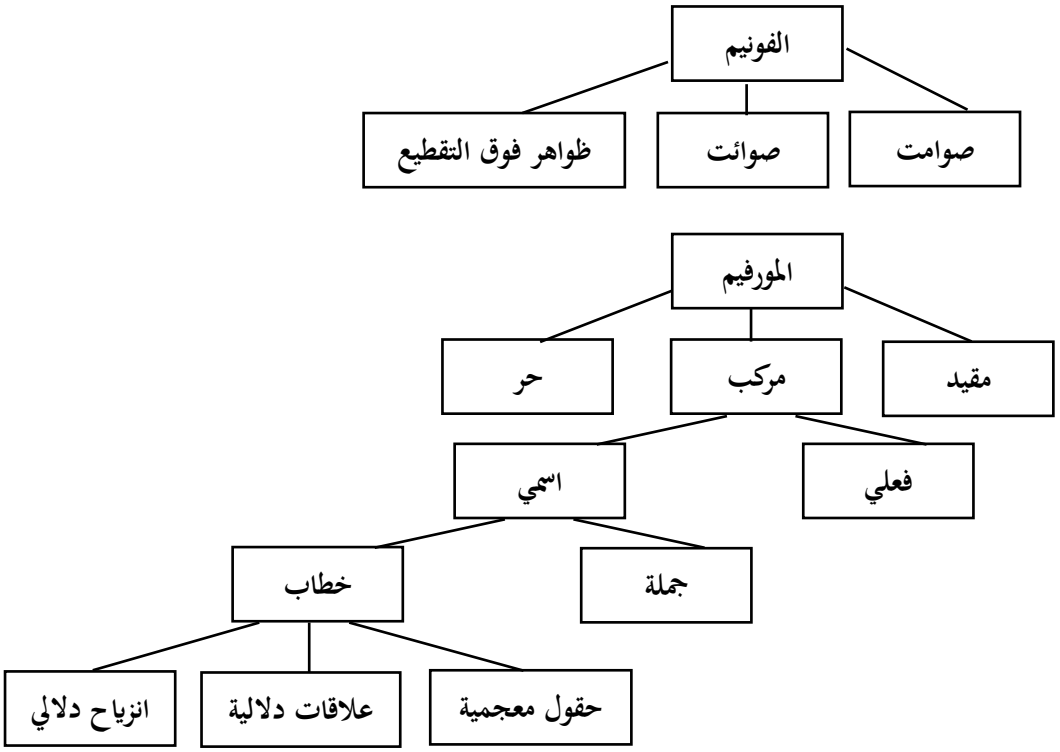

فبناء الخطاب ينطلق من البنية الصوتية مرورا بالبنيتين الصرفية والنحوية وصولا إلى البنية المعجمية والدلالية.

الخاتمة:

وفي ختام هذا الموضوع يمكن إيجاز اهم عناصره كما يلي:

1. يعد المنهج الوصفي نقطة تحول في الدراسات اللغوية الحديثة، إذ كانت الدراسات السابقة له ذات صبغة تاريخية ومقارنة ومعيارية لا تدرس اللغة في ذاتها ولذاتها.
2. يعد الألسني "دي سوسير" أول من أرسى دعائم المنهج لوصفي وتأثر به الألسنيان الأمريكيان فرانز بواز وليونارد بلومفليد.
3. يرتبط المنهج الوصفي بالبنية السطحية القائمة على الشكل بالدرجة الأولى، ويعتمد على الملاحظة والتصنيف.
4. ينقسم الوصف إلى نمطين رئيسيين:

أ- **وصف بنيوي**: يركز على الجانب التشكيلي للغة ويغالي فيه وتندرج تحته نظريات لسانية مثل: النظرية البنيوية لسوسير، ونظرية الرياضيات اللغوية ليلمسليف والنظرية التوزيعية لبلومفيلد.

ب- **وصف تفسيري**: يربط الجانب الشكلي للغة بالبعد الوظيفي، وتندرج تحته النظرية الفونولوجية والنظرية الوظيفية التركيبية وكذلك النظرية الوظيفية السياقية.

5. تعد النظرية التوليدية التحويلية نظرية لغوية تفسيرية أكثر موضوعية من النظريات الوظيفية كونها تعتمد على العقل في دراستها.
6. يتضح المنهج الوصفي جليا في البحث اللغوي انطلاقا من رصد مستوياته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية التي تسهم في تشكيل بنية الخطاب.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن جني ,أ .(د.س) .الخصائص .بيروت :دار الكتاب العربي.
2. الجرجاني ,ع .(1997) .دلائل الإعجاز .بيروت :دار الكتاب العربي.
3. الموسى ,ن .(1980) .نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث .الأردن :المؤسسة العربية.
4. بوحوش ,ر .(2007) .اللسانيات وتحليل النصوص .الجزائر :عالم الكتب الحديث.
5. بوقرة ,ن .(2008) .مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري .الأردن :عالم الكتب الحديث.
6. تمام ,ح .(1979) .اللغة العربية معناها ومبناها .مصر :الهيئة المصرية العامة للكتاب.
7. حجازي ,م.(د.س) .البحث اللغوي .الفجالة :مكتبة غريب.
8. حلمي ,خ .(2000) .دراسات في اللسانيات التطبيقية .الاسكندرية :دار المعرفة الجامعية.
9. حمو الحاج ,ذ .(2005) .لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب .الجزائر :منشورات مخبر تحليل الخطاب.
10. خليل ,إ .(2010) .مدخل إلى علم اللغة .عمان :دار المسيرة.
11. سعودي ,ن .(2009) .جدلية الحركة والسكون نحو مقاربة أسلوبية لدلالئلية البنى .الجزائر :بيت الحكمة.
12. طالب الإبراهيمي ,خ .(2006) .مبادئ في اللسانيات .الجزائر :دار القصبة.
13. فردينان ,د .(1986) .محاضرات في الألسنية العامة .الجزائر :المؤسسة الجزائر للطباعة.
14. مومن ,أ .(2007) .اللسانيات النشأة والتطور .الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية.